الأدب المغربي القديم والبعد المتوسطي فرنتون السيرتي أنموذجا (100/166م)

تاريخ استلام المقال: 2016/10/13 تاريخ قبول المقال للنشر: 2017/02/16

أ.وفاء بوغرارة.

جامعة أحمد دراية –أدرار

البريد الالكتروني: djellailiahmed@yahoo.fr

ملخص:

شهد البحر الأبيض المتوسط حراك وتفاعل ثقافي كان له تأثير كبير على بلاد المغرب، وقد نتج عن مفعول المثاقفة (L'acculuration) المفروضة من قبل روما على أفريقيا الشمالية أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من المغاربة منهم فرنتون السيرتي، من الأدباء الذين كانت لهم مكانة كبيرة في الأدب العالمي، وأحد أهم علماء البلاغة المغاربة الذين كانوا يكتبون باللاتينية، ومن أبرز النحاة والمحامين في روما اللاتينية، عادل في شهرته الكاتب الروماني شيشرون، وكان الأستاذ الذي من بين تلاميذه إمبراطوران. يعتبر فرنتون البلاغة مدخل كل علم وفن، ولو كانت معرفة فلسفية، خلق من حوله مدرسة تكونت من مريدين كانوا يدعون "بالفرونطيين" (حاشية فرنتون). اشتهر بكتابة الرسائل باللاتينية واليونانية، أما بقية مؤلفاته، فقد ضاع أغلبها وخاصة خطبه. ولم يصلنا من كتبه إلا أجزاء متفرقة.

Abstact :

Mediterranean saw a motionless cultural interaction has had a significant impact on the country of Morocco, has resulted in acculturation effect (L'acculuration) imposed by Rome on North Africa that excelled in writing Latin successive generations of Moroccans them Frnton Alserta, of writers who have had great place in world literature, and one of the most important Moroccan rhetoric scholars who were writing in Latin, and the most prominent grammarians and lawyers in Latin Rome, just in the fame Roman writer Cicero, was a professor who among his disciples Ambratoran. Rhetoric is Frnton entrance of each science and art, even if philosophical knowledge, creating around him consisted of devotees were calling Balfruntaan school. Best known for writing letters in Latin and Greek, and the rest of his works, has lost Most of them, especially his sermons. We receive not only of his books scattered parts

مقدمة: يعتبر الحوض المتوسط[1] مركز إشعاع حضاري كبير[2]، فقد ساعدت الثقافات المتوسطية المجاورة الأدب المغربي على الانفتاح والازدهار، حيث عرفت المنطقة نهضة فكرية أدبية نشيطة تماشيا والتجارب العالمية الأخرى، قام بها مؤلفون ومبدعون وكتاب يعدون من المتميزين في هذا المضمار، كرسوا كل جهودهم من أجل خدمة هويتهم، والدفاع عن حضارتهم، والوقوف ضد الغزاة والمحتلين. ويعتبر الأدب المغربي بكل مكوناته وأنماط فروعه وتجليات أجناسه النثرية والشعرية الشفهية أو المكتوبة انعكاس ضمني لحيوية ونشاط وديناميكية العقل المغربي في بعده الفلسفي والتأملي، مبرهنا عن مدى حيويته وقدرة نشاطه التي ساهمت في التطور الحضاري للمجتمع المغربي القديم.

وما نتائج البحث الأركيولوجي، إلا دليل على ما كانت تزخر به المجتمعات المغربية قبل الميلاد من إبداع فني وحضاري متميز ، حيث تعتبر النقوش المنحوتة على الصخور بمثابة السجل المفتوح يسمح للمهتمين بقراءة تاريخ بلاد المغرب – منذ حقب زمنية قديمة – قبل اكتشاف الإنسان للكتابة، لذا فقد حاول الإنسان المغربي أن يسجل تاريخه ومعتقداته بوسيلة تعبيرية مبتكرة، وتتمثل في لغة الخطوط الهندسية وألوان الطبيعة[3]، تظهر الفكر الذي بلغه سكان المغرب ومساهمتهم في الفكر الإنساني.

حيث دونوا في تلك الرسوم مشاهد كثيرة عن حياتهم، لتبقى المسكوكات والنقوش[4] الصخرية الجميلة خير وثيقة تاريخية تفيد أن الأدب في المغرب القديم متجذر المرجعية، وليس رهين صحوة

---

[1] **البحر الأبيض المتوسط:** يتخذ عدة دلالات لغوية وتاريخية، إذ كان يسمى "بالأخضر الكبير" عند المصريين القدامى، و"البحر الداخلي" أو "بحرنا" عند الرومان، و"بحر الغرب" أو "البحر المقدس" أو "بحر فلسطين" كما لدى العبرانيين في العهد القديم، أو "البحر الأبيض" في اللغة التركية. ويسمى هذا البحر بالمتوسط لأنه يقع في الوسط بين ثلاث قارات متداخلة هي: إفريقيا، أوروبا، وآسيا. للمزيد ينظر: جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص.ص 8.9.

[2] من يتأمل الحضارات الإنسانية، ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية، فإنه سيلاحظ أن معظم هذه الحضارات المتعاقبة نشأت على شواطئ حوض البحر الأبيض المتوسط. لذلك يعد البحر المتوسط ملتقى الثقافات المتنوعة، وموطن تلاقح النظريات والأفكار والأديان والفنون والآداب. ينظر: محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

[3]– بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ج01، دار الكتاب العربي للطباعة النشر، التوزيع والترجمة، الجزائر، 2007، ص.ص 48.49.

[4] **النقوش (Epigaraphies)**: جمع نقش وهو علم فك رموز وتفسير الكتابات القديمة المدونة على النصب الحجرية أو المعادن والأصداف والفخار ثم الخشب. وبذلك فإن تسمية نقوش تشمل كامل الكتابات التي كانت قد نقشت على الصخور والجدران، في حين تدخل الكتابات المنقوشة على العملة في باب علم **المسكوكات (numismatique)**.أما تلك النقوش التي تدون على الرقوق (الجلود) والأوراق البردية، فتنسب إلى علم البرديات (papyrologie). وقد اشتقت تسمية علم النقوش من الكلمتين اليونانيتين (épi- grapho) بمعنى "أكتب على". للمزيد ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 13.

جديدة وهي كتابات تناولها التاريخ القديم. واعترف بمدى تأثيرها على الثقافات الأخرى، ومنها المتوسطية بفعل عامل التجارة البرية والبحرية، والتقارب الجغرافي.[1]

و يمكن القول: أن الكثير من الأعلام و الأدباء المغاربة قد ألحقوا، عن حسن نية أو سوء نية بثقافات متوسطية نسبا وتجنيسا ولغة ومركزا. فقد نتج عن مفعول المثاقفة[2] (L'acculuration) المفروضة من قبل روما على افريقيا الشمالية أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من المغاربة، فأسهموا اسهاما مهما في إغناء الفكر والأدب العالميين، من أشهرهم كرونليوس فرنطو(Crneluis Fronto) الذي يعد من الشخصيات التي خدمت الساحة الفكرية المحلية والعالمية ، فقد امتاز بسعة العلم والاطلاع، وكثرة السفر والبحث، واتساع المعارف والفنون. ألف الكثير من الكتب والبحوث والمصنفات فهو يعتبر أحد أساتذة البلاغة المشاهير، تقلّد الوظائف السامية في الدولة الرومانية ونال أعلى الرتب، ويكفيه أنه الأستاذ الذي كان من بين تلاميذه إمبراطوران.[3]

إذا ما مساهمة التفاعل الثقافي في ظهور أدب فرنتون السيرتي؟ وكيف كان وضع الأدب العالمي في تلك الفترة ؟ من هو فرنتون السيرتي؟ وما أبرز أعماله الأدبية؟ هل كان لها صدى عالمي وفيما تتمثل قيمتها؟ هذه أسئلة سوف أحاول رصدها من خلال العناصر الآتية:

1-التفاعل الثقافي المتوسطي.

2- وضع الأدب العالمي في القرن الثاني للميلاد. 3- هوية فرنتون السيرتي

4- نشأة فرنتون . 5- شهرته في روما.

6- أهم مؤلفاته. 7- اهتمامه بالمنطق.

---

[1] محمد أسويق، الأدب الشعبي الأمازيغي، متاح على الرابط: WWW.ahewar.org تاريخ الرفع: 2013/05/27 على الساعة 11.40د.

[2] المثاقفة: اقتبس مفهوم "المثاقفة "من علمي الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، كان الأنثروبولوجيون الأمريكيون أول من ابتدع مفهوم "المثاقفة"، أما الإنجليز فأطلقوا عليه مصطلح (Acculturation) 1880 ، ورآه الإسبان على أنه التحول الثقافي (Cultural Exchange) أو التبادل الثقافي (Transculturation) ، وفضل الفرنسيون مصطلح تداخل الحضارات (Interpénétration des Civilisation) للمزيد ينظر: محمد سليمان، أسئلة الهوية والمثاقفة في عصر العولمة، ط1، معهد إبراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله- فلسطين، 2008، ص 12.

– تجمع الكتابات على أن المثاقفة تتحقق من خلال عملية اتصال بين ثقافة وأخرى عبر سيرورة انتقال عناصر كل منها نحو الأخرى، إلا أنه يوجد اختلاف حول طبيعة هذه العلاقة بين الثقافات، بحيث تتطلب هذه العملية عنصر الهيمنة والتكلف والقوة والقدرة على اختزال عناصر ثقافية معينة نحو ثقافة أخرى. للمزيد ينظر: Roger Bastide, L'acculturation, Encyclopédie universel, Paris, 1995, P.114.

[3] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 2004- 2005، ص 348.

8- أسلوبه في الكتابة. 9- المناصب التي اعتلاها.

أولا: التفاعل الثقافي المتوسطي:

شمل التفاعل الثقافي مجالات متعددة وحساسة في حياة مختلف الحضارات، وهي مجالات يمكن إجمالها في ثلاثة ميادين أساسية: أولها عالم الأفكار والتصورات وما يجري فيه من تبادل للعلوم والمعارف، وقد كان للمثاقفة في هذا المجال دورا أساسيا باعتبارها حلقة الوصل التي بدونها ما كان للإرث الإنساني أن ينمو ويستمر.

وثانيها مجال التواصل اللغوي إذ أثر التفاعل الثقافي في اللغات والألسن وكان ولايزال سببا في نموها وتطورها واغنائها بالمصطلحات والمفاهيم الجديدة وبالتالي أصبحت اللغات أقدر على البقاء وعلى مواكبة العصر. وثالثها مجال الإبداع في الفنون والمهارات والخبرات، وكان لمنطقة المغرب نصيبها من هذا الحراك، بحيث توافدت مختلف القوى الحضارية على المنطقة وهذا ما سمح بالخروج من العزلة والاتصال بالآخر والتعرف على ثقافته[1].

ومن بين أهم الحضارات التي تركت بصماتها في المغرب هي الحضارة الرومانية، التي بسطت نفوذها لمدة ستة قرون عرف من خلالها تقارب وامتزاج كبير بين الثقافة اللاتينية والمحلية، والذي سمح بظهور جيل من المفكرين ذو ثقافة ذات بعد متوسطي وذلك بمختلف الإسهامات الأدبية والفكرية والعلمية التي قاموا بها خاصة وأنها كانت بالقنوات التعبيرية العلمية في تلك الفترة وهي اليونانية واللاتينية[2]، مثل الأديب والخطيب البارع فرنتون السيرتي، الذي كان لإبداعاته صدى كبير في ثقافة العالم القديم . وهذا ما جعل منه محل دراسة في مقالنا هذا محاولة لرفع الغموض عن حياته وانجازاته والتعريف بها للقارئ.

ثانيا: وضع الأدب العالمي في القرن الثاني للميلاد:

كان العالم الروماني مقسم إلى نصفين، نصف شرقي، إغريقي اللغة وهلينستي الثقافة[3]، ونصف غربي، لغته لاتينية وثقافته مزيج من التراث الروماني ومن ثقافة الشرق الهلينستي وعلومه. وكانت الحياة الثقافية في القرن الثاني للميلاد تتقد حيوية في العواصم الكبرى، كأثينا والاسكندرية في

[1] علي أحمد شعبان، المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم، أعمال الملتقى الوطني الأول بجامعة معسكر "المدينة والريف في الجزائر القديمة" ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص ص 354.353.

[2] المرجع نفسه، ص 355.

[3] **الهلينيستية (Hellénistique)**: يقصد بها الثقافة والحضارة الإغريقية ما بعد الإسكندر المقدوني.

الشرق، وقرطاج في الغرب. وفي روما ساهمت إقامة المثقفين الوافدين من الولايات القريبة والبعيدة، في تلاقح التيارات الثقافية المختلفة التي كانت تحرك العالم الروماني.

في أواخر العهد الجمهوري وبداية العهد الامبراطوري، سطع نجم المدرسة الأدبية الإيطالية وأشع على كافة الولايات الغربية، ثم انتقل المشعل إلى المدرسة الإسبانية، ومنها إلى ولاية إفريقيا في منتصف القرن الثاني. فواكب ازدهار الثقافة والآداب في عهد هادريانوس وأباطرة الأسرة الانطونية، ازدهار الفلاحة والعمران، كما استرجع الشرق الإغريقي، بعد تقهقر الآداب الإيطالية، ما عهده من خلق أدبي وإشعاع ثقافي. ومن الأدباء الذين بلغوا شهرة كبيرة في عهد الأسرة الأنطونية، فرنتون السيرتي[1].

ثالثا: هوية فرنتون السيرتي:

هو ماركوس كورنيليوس فرنتو(Marcus Comelius Fronto) ولد فرنطون بسيرتا[2] سنة 100م (في بداية حكم ترايانوس) وتوفي بروما سنة 166م[3]، وكان يعترف دائما بثقافته الإفريقية، وهويته النوميدية، وبالرغم من أنه اشتهر في روما لكن لم ينس وطنه، الذي عبر عدة المرات عن تعلقه به وأشاد بمناخه الصحي، وقد تحدث عن إفريقيته في إحدى رسائله الإغريقية بأنه ليبي[4] أصيل، قائلا: "**إنه ليبي من بين الليبيين النوميد**"[5] وكتب أيضا: " **أنني بربار....وإنني ليبي ومن دين الليبيين البدو**". قال عنه مونصو: " **مرة أخرى، كان يبتهل بأبهة إلى الآلهة الأهلية،**

---

[1] عمار المحجوبي، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 146ق.م-235م، مركز النشر الجامعي، تونس،2001، ص 152.

[2]- **سيرتا(Cirta)**: قسنطينة الحالية وهو تحريف للاسم الحقيقي الذي هو كرطن (ك ر ط ن) ومعناه المدينة أو القلعة المنيعة أو المحصنة طبيعيا. وقد أشير إلى اسم سيرتا في أحداث نهاية القرن الثالث ق.م التي جرت بين سيفاقس من جهة وجايا وابنه ماسينيسا من جهة أخرى. وكانت هذه المدينة عاصمة لسيفاقس، وذلك في نهاية القرن الثالث ق.م (203 ق.م)، ثم آلت بعد ذلك عاصمة لماسينيسا، ومن جاء بعده من أبنائه وأحفاده. ينظر: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج03، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 118.

[3]-عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة،ط2، الرباط، 2010،ص178.

[4] **ليبي أو لوبي**: مشتق من ليبيا أو لوبا: وهو اسم عريق ضارب في القدم، دار حوله الكثير من الجدل في محاولة لتتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريبو، وفي قراءة أخرى ليبو التي تقابل اللغة العبرية لوبيم وفي الإغريقية ليبوس وفي اللغة العربية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنبتاح، وعهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين.لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم الليبو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة ولأوديسة لهوميروس.أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها، أما في العصر الروماني، فقد أخذ اسم ليبيا كما هو عند الإغريق لكن مدلول الاسم تقلص في أواخر هذا العصر، وأصبح يشمل برقة فقط وجزء صغيرا من الساحل الغربي لمصر. ينظر: محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، ص 148.

[5] في الترجمة الفرنسية للرسائل الإغريقية هكذا بالحرف (Libyen d'entre les libyens Numides) ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 348.

لآمون والآلهة الليبية، ونعلم من مينوسيوس فيليكس بأن حديثه ضد المسيحيين كان له دوي قوي في قدم الأطلس. في طبعه سمات افريقية: مغالاته المفرطة، كثرة تعلقه المسرحي بمارك أوريل، عادته في تفخيم حمايته، والمباهاة جهراً بعقائده الدينية، طلاقة لسانه حين يتكلم عن نفسه، وصراحته الفضة التي لاتعفي حتى الأباطرة: هذا الطبع الإفريقي يكتشف في اللغة أيضا: مزيج من الكلمات الهلنستية القديمة، ومن الكلمات الشعبية، وتلك هي اللاتينية التي كان ينطق بها منذ مدة قديمة في نوميديا كما هو الشأن في قرطاجة".[1]

من خلال النص يبدو أن فرنتون يعتز بأصوله اللوبية فقد كان معتزاً بأفريقيته، ويذكر نوميديا[2] مرفوقة بعبارة بلدي (Mea Patria)، ويعبر عن ذلك بكل صراحة من خلال عاداته وسلوكه وطلاقة لسانه والصراحة القاسية التي تعرض لها حتى الأباطرة.

رابعا: نشأة فرنتون:

نشأ ماركوس كورنيليوس فرنتون في عائلة أرستقراطية، بدأ دراسته في المدن الكبرى النوميدية: سيرتا، تيفست، مداورش،[3] ثم انتقل إلى قرطاج العاصمة العلمية[4] لشمال إفريقيا القديم[5]، ثم إلى

---

[1] محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993، ص 208.

[2] **نوميديا**: عرفت في كتابات المؤرخين القدماء بأسماء عديدة اختلفت في تسميتها المصادر الإغريقية واللاتينية، ففي المصادر الإغريقية كان اسم نوميديا اسما وصفيا يعني نمطا في الحياة ينطبق على البدو الرحل. أما المصادر اللاتينية، فقد أطلقت اسم (Numidae) على سكان شمال إفريقيا إبان حروبهم مع قرطاجة التي عرفت بالحروب البونية وجرت أحداثها إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد، وقد اختلف المؤرخون في تحديد المنطقة التي تسمى بنوميديا. فعند ديودور الصقلي: النوميديون هم قوم عاشوا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد في جزء كبير من ليبيا يمتد حتى الصحراء. أما بوليبيوس: فقد أطلق تسمية نوميديون على سكان شمال إفريقيا عامة في المنطقة الممتدة من ليبيا حتى المغرب الأقصى. ينظر: غايوس كريسبوس سالوستيوس، حرب يوغرطة، (تر) و(تح) محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 44.

[3] **مادور** (Madoure): مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول الميلادي. كانت مشهورة بمدارسها وعلمائها وأساقفتها. فهي مسقط رأس الفيلسوف النوميدي أبوليوس المادوري، ومسقط رأس علماء آخرين أمثال: النحويين ماكسيموس (Maximus) ونونيوس(Nonius) . أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس درس بها. يمكن الآن رؤية أطلال مادور قرب مدينة مداوروش بالجزائر الحالية. ينظر:
Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914-1918 P.6.

[4] يقول يوفينال (Juvénal) عالم لاتيني من القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا وُلد في رؤما بالذهاب إلى الضفة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر قائلاً له: **" إن أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء..."** ينظر:
Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII, P.P.(148-149).

[5] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 153.

روما لإتمام دراسته، حيث تتلمذ عن الفيلسوف الرواقي أتنودُورُوس (Athenodorus) وعن الخطيب وديُونُوزِيوس (Dionysios)، ولما أتقن أساليب الريطوريقا، مارس مهنة المحاماة. فرافع في قضايا عامة وقضايا سياسية وخلق من حوله مدرسة تكونت من مريدين كانوا يدعون بالفرونطيين. من بين هؤلاء ماركوس أوغليوس صاحب كتاب الليالي الأتيكية. ولفرنطون نظرية في الفصاحة مؤسسة على مبدأي الشعور والانفعال، وكان يعتبر الريطوريقا[1] أهم أشكال الأدب، بل كان يرجع كل أشكال الأدب إلى الريطوريقا[2].

خامسا: شهرته في روما:

اختار فرنتون روما لتكون مسرحاً لإبداعاته الخطابية، حيث اشتهر هناك بسعة ثقافته وفصاحة لسانه وتفوقه في مهنة المحاماة، حيث أصبحت مدن الإمبراطورية وولاياتها تتسابق في تكليفه بالدفاع عن قضاياها، لكن لا تعرف عن تفاصيل أدائه شيئاً يذكر لضياع خطاباته التي أكسبته شهرة وحاز بها على لقب شيشرون[3] الثاني أو شيشرون الآخر (Altercioro). اعتلى مرتبة القنصلية سنة 143م، ثم أسندت إليه مهمة تربية الشاب مَرْكُوس أورِلِيُوس (Marcus Aurelius)[4] وتعليمه قبل جلوسه على العرش الإمبراطوري، فأصبح من أصدقائه المقربين[5].

سادسا: مؤلفات فرنتون:

كان فرنتون كاتبا مرموقا في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، إذ نافس اللاتين والرومانيين واليونان، ومن أهم أعماله:

---

[1]- **الريطوريقا**: يقصد بها فن الخطابة يعتبر الأديب الروماني كيكرو (Cicero) من أهم رواد الريطوريقا القديمة، وكان له على المغرب القديم وقع كبير. دخلت الريطوريقا في مناهج التربية والتعليم بكل عواصم العالم القديم، واحتضنها رجال الفكر بشمال إفريقيا القديم وبرعوا فيها إلى درجة جعلت مونصو يقول عنهم:" لقد ولد الغارية ريطوريقيين" ينظر: جميل حمداوي، المرجع السابق، ص303.

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص-ص 176-177.

[3] **شيشرون**: هو ماركوس توليوس كيكرو (Marcus- Tullius-Cicero) (أربينوم 106- فورمي 43ق.م) سياسي وأشهر خطيب روماني في عصره، تقلد الوظائف السياسية السامية، ترك أعمالاً عديدة وهو الذي طور فن الخطابة في اللغة اللاتينية. ينظر: أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت، ص. ص (101- 102).

[4] **ماركوس أورولِيوس**: (روما 121- فيندوبونا 180م) واسمه الحقيقي: ويروس (Verus) ومعناه الحقيقي (le varis) وكان الإمبراطور هدريان لا يناديه إلا باسم: ويريسموس (verissmus) أي الأكثر حقيقية، أما اسمه الكامل فهو: أيوليوس أوريليوس ويروس تبنّاه أنطونين، تولى الحكم من سنة 161 إلى وفاته 180م، كانت فترة حكمه كلها فترة حروب وكان يقود الحرب بنفسه. ينظر: Carcopino (J) , Passion et Politique chez les Césars, Paris, 1958, P. 212.

[5] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص.ص 152.153.

1)– المراسلات[1] (Epistolae): أشهر آثاره التي كتبها في فترتين مهمتين من حياته، الأولى ما بين 139-145م وهي الفترة التي كان يقوم فيها بوظيفة معلّم ومربّي ماركوس أوريليوس، والفترة الثانية ما بين 161-165م بعد تقدمه في السنّ. ونكتشف من هذه الرسائل جدية فرنتون ونبل تفكيره. ومن خلال هذه الرسائل نطلع على سريرة صاحبها وهو يجلس إلى نفسه متأملا أو مدبرا هذه الخطة أو تلك. وهي خطط قد ينفذها أو يعدل عنها فيما بعد. وترسم هذه الرسائل صورة لفرنتون الإنسان، فنجده فنجده رجلا غاية في الإخلاص لأسرته وأصدقائه ووطنه. إننا أمام عقلية نشطة تنهل من أنهار الأدب وينابيع الفلسفة ولا يشبع له ظمأ.

2)– مقتطفات من خطب: هي عبارة عن مرافعات تناولها من أجل القرطاجيين والبيثونيين[2] (Bithyniens).

3)– مقتطفات من دراسة فنّ البلاغة والخطابة وكلاهما مُهْدَى إلى ماركوس أوريليوس.

4)– دراستان في التاريخ: تناولت الأولى حروب الفرس، وكانت الثانية حول مبادئ التاريخ تناولت حملة ويروس على الشرق[3].

5)– مجموعة من الأعمال هي: الدخان والغبار[4]، وبعض الأشعار وعطل ألسيوم (Alsium) في شكل رسائل إلى ماركوس أوريليوس، ونص بعنوان: فقدان حفيدي، جوابا على رسالة تعزية من الإمبراطور.

وقد عرف نشاطه وأعماله في البلاغة لتوفر الوثائق ومن أهمها رسائله المشار إليها آنفا. أما بقية ما كتبه هذا الريطوريقي المغاربي ضاع كله. ولم يصلنا من كتبه وخطبه إلا أجزاء متفرقة ذكرناها قبل حين.

---

[1] لقد أصبحت الرسالة فنا أدبيا منذ العصر الهيللينستي. ولقد نشر أرتيمون خطابات الإسكندر الأكبر، وتبنى أبيقور شكل الرسالة لكي يجسد مبادئ الفلسفة الأبيقورية. وفي المدارس الفلسفية الهيللينستية كانت توجد رسائل ذات مضمون اجتماعي مفيد. ومن الطبيعي أن تزحف الخطابة رويدا رويدا على الرسائل التي خطها المثقفون. للمزيد ينظر: أحمد عتمان، المرجع السابق، ص 148.

[2] **البيثونيين**: نسبة لـ "بيثينيا" (La Bithynie) ولاية رومانية مطلة على البحر الأسود بآسيا الصغرى. للمزيد ينظر: ديون كسيوس، التاريخ الروماني، تر: مصطفى غطيس، ج10، ط1، ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013، ص 07.

[3] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 350.

[4] عندما قرأ ماركوس أوريليوس الدخان والغبار لم يتمالك عن الإدلاء بأنه: لم يقرأ نصّا أكثر أناقة وأصالة ولا أكثر روحانية ولاتينية من هذا النصّ، فما أروع حججه ونسقه وتأنقه وجماله وسحره وتعبيره وظرفه وبريقة ورقته ولطفه وفنه وعبقريته، ينظر: Marache (R) , Critique littéraire de langue latine et le développement du goût archaisant au II^e^ me siècle, Paris 1952, P.P.(115 - 116).

سابعا: اهتمامه بالمنطق:

اهتم فرنتون بمادة المنطق من خلال اهتمامه بالريطوريقا. وله في هذا الباب نظرية عرضها في كتاب له تحت عنوان (De Elequantia) فيه يعدد الكاتب مزايا الفصاحة، ويولي اهتماما خاصا لدور الألفاظ وتقنيات تركيب الجمل الفصيحة.وفي هذا الإطار تأثر فرنتون بالمنطق الرواقي[1] من خلال أستاذه أثينودوروس[2] (Athenodorus)3.

ومع أنه كان لا يميل إلى الفلسفة، إلا أن بعض الفقرات من رسائله تدل على رواقي رفيع يتمتع بقلب عطوف ونفس بسيطة: "...**عندما يحل الأجل، الذي لا يمكن أن يؤجّل–سأحيّي السماء وأنا أغادر هذه الدنيا وسأشهد بنفسي على جلائل الأعمال التي صنعت، لقد عشت راحة البال مع أهلي ولم أتحصل على أيّ من الأمجاد التي في حوزتي بطرق مشينة، لقد كنت منشغلاً بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادّي، لقد فضّلت دراسة العلوم على المنافع المادية وبقيت بسيطا، بل لم أتوسّل الحماية من أحد، وكنت أقول الحقيقة بأمانة، أسمع دون أن أشكو، وكنت أفضّل مواساة صديق على الانغماس في الملذات، وأطلب دائماً أقلّ مما أستحقّ، لقد كنت أقرض المال ما استطعت وأساعد من يستحقّ ومن لا يستحق، لم أكن أشترط الامتنان، ولم يثنني ما أجده من جحود على فعل الخير ما استطعت تجاه الآخرين ! "**[4].

تبين لنا مراسلاته الأسلوب الأدبي الرفيع لديه، وفي هذه الرسائل لا يظهر فرنطون الخطيب فحسب، بل يظهر فرنطون بأكمله، إنه فرنطون وسط تلاميذه، فرنطون وسط عائلته، ويُستنتج من استرساله في الكلام عن نفسه جوانب طيبة من حياته اليومية، ومشاهد لا تخلوا منها الآداب القديمة.

ثامنا: أسلوبه في الكتابة:

ومن بين رسائله العديدة، نأخذ رسالة عنوانها: في البيان (De Eloquentia) وهي مليئة بالقواعد المتعلقة بالمفردات وفيها يؤكد بأنه ينبغي الاهتمام بدرجة (Gradus) ووزن

---

[1] اهتم المغاربة بالمنطق الرواقي أكثر من اهتمامهم بالمنطق الأرسطي. ويرجع هذا إلى سببين: الأول احتكاك المغاربة المباشر برواد المدرسة الرواقية بروما وبشمال أفريقيا القديم، والثاني يتمثل في الميل الطبيعي للمغاربة القدامى إلى الريطوريقا. للمزيد ينظر: عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 91.

[2] **أثينودوروس**: فيلسوف رواقي روماني.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 177.

[4] Fronton de Cirta, Œuvres complètes ; Epistolae : Ad Caesar, Ad. Antonin pium, Epistolae graecae Ad Verum Ad amicus, éd. A.Mai puis par Naber, Paris 1823-1867, P235.

(Pondus) وعمر (Aetus) الكلمة ووضع كل كلمة في مكانها في نسق وانتظام، ويقول أن لإثراء الموضوع بالمفردات ينبغي استدعاء شعب الكلمات كلّه[1].

عندما تختفي الكلمات، لجأ فرنتون إلى عبارات عامية فقد أدخل عدداً من الاصطلاحات المستعملة في المقاطعات خاصة مقاطعة أفريقيا، كما ذهب إلى الكتاب القدامى (القرن الثاني ق.م) وكان فرنتون يحب دراسة كاتون (Caton) والشعراء إينوس وبلوتوس والمؤرخ سالوستيوس الذي منح أفريقيا نصها التاريخي الأول (حرب يوغرطة)[2].

لكن هذا الشغف الكبير باللغة واللفظ أدى في بعض الحالات إلى إهمال المعنى، حتى أن فرنتون كان يطرق مواضيع على درجة كبيرة من السذاجة، كالإشادة بالدخان والتنويه بمزايا الغبار. ويرجع ذلك إلى تعلقه بالعتيق في الأدب اللاتيني، أدب المدرسة الإيطالية التي ازدهرت منذ القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد، زمن إنيوس[3] (Q.Ennius) وبلاوطوس[4](T.Maccius Plautus) وترنتيوس[5] (P.Terentius Afer).

بينما أشرف هذا الأدب على الاحتضار في نهاية القرن الأول بعد الميلاد، على غرار نفاذ قوى الفئة الاجتماعية التي بعثته، وتدهور الفلاحة والاقتصاد في شبه الجزيرة الإيطالية. وخير دليل على احتضاره ما يلاحظ من تكلف واصطناع في الخليط من المقالات اللغوية، والرسائل التاريخية، والأحكام القانونية والأخلاقية التي جمعها تلميذ الأستاذ الإفريقي سلبيسيوس أبوليناريس (Sulpicius Apollinaris)، ورائد منزل فرنتون، الكاتب أولوس جاليوس (Aulus Gellius)، واختار لها عنوان "الليالي الأتينية"[6].

---

[1] محمد العربي عقون ، المرجع السابق، ص 352.

[2] Marache (R), Critique littéraire de langue latine, Op-cit, 116.

[3] **إنيوس**: عاش كوينتوس إنيوس (Quintus Ennius) سبعين عاما (239- 169 ق.م) يلقب " أبو الأدب اللاتيني" ، جاء من روديا في كالابريا وهي ملتقى العناصر الحضارية الآتية: الإغريقية والأوسكية والرومانية. ولذلك دأب إنيوس على القول أنه ذو ثلاثة أفئدة، مما يعني أيضا أنه كان يعرف اللغات الثلاث الإغريقية والأوسكية واللاتينية، ترك أنشطة أدبية متعددة، حيث نظم الشعر وأعد للمسرح الكثير من السرحيات التراجيدية خاصة. للمزيد ينظر: أحمد عتمان، المرجع السابق، ص 20.

[4] **بلاوطوس**: ولد الشاعر تيتوس ماكيوس بلاوطوس في سارسينا الواقعة في إقليم أومبريا، ويقول شيشرون إنه مات عام 184 ق.م، نسبت إليه حوالي 130 مسرحية وهو عدد مبالغ فيه ومشكوك في أمره. إذ أن فارو يحفظ قائمة بإحدى وعشرين مسرحية هي المتفق على أنها من تأليف بلاوتوس. للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

[5] **ترنتيوس (الأفريقي)**: من أفريقيا يرجح أن الشاعر بوليوس ترنتيوس أفير (P.Terentius Afer) قد جاء إلى روما وذلك كما يستدل من اسم الشهرة (Afer) فهو يعني "الأفريقي". توفي في سن الخامسة والثلاثين، تاركا أعمال فنية مهمة أشهرها مسرحياته الست بمقدماتها التي رد فيها على نقاده. للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص.ص 58.59.

[6] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص153.

بالرغم من أن هذا هو مصدر البلاغة عند فرنتون، إلا أنه كان حريص على الأسلوب الرفيع وهو أستاذ البيان كما نعلم، وإذا وجدت في نصه كلمات من المصدرين المذكورين أعلاه، فإنه حريص على وصفها ضمن سياق ملئ بالصور البلاغية.

تاسعا: المناصب التي اعتلاها:

إن تعليم أميرين ونبوغه في فنّ الخطابة وضع فرنتون في مقام رفيع بين المجتمع الروماني، فقد عينه الإمبراطور أنطونين سنة 143م قنصلا، ولكن لم يستغرق في هذا المنصب أكثر من شهرين حتى عين بروقنصلا، وهذا التاريخ هو العلامة البارزة في حياته مثله مثل شيشرون، وكانت القوانين تقتضي إجراء القرعة لتحديد المقاطعة التي سيحكمها، وكان هو يتوق إلى أن تكون أفريقيا من نصيبه فيعود إلى بلده في أبّهة كبيرة بعد حياته الفكرية الطويلة لكن خابت آماله فكان نصيبه مقاطعة آسيا، بعد عزم الالتحاق بمنصبه إلا أن المرض عاجله فاعتذر[1].

كان منزله في روما لا يخلو على الدوام من الأفريقيين الذين يستضيفهم ويساعدهم في قضاء أعمالهم طيلة إقامتهم في روما وكان يولي عناية خاصة بالأدباء والتلاميذ الأفريقيين المتواجدين بروما، ومنهم : كالسينوس النوميدي (calsinus le Numide) وفستوس بوستوميوس (Festus Postumius) وسرويليوس الهيبوني (Servilius d'Hippone)، وعلى الخصوص أوفيديوس فكتورينوس (Aufidius Victorinus)[2] الذي زوجه ابنته وصادقه مع ماركوس أوريليوس، ودفع به في طريق ارتقاء سلّم الوظائف السامية حتى تقلد منصب برايفيكتوس مدينة روما ثم منصب القنصلية.[3]

خاتمة:

لقد تربع فرنتون على عرش البلاغة في روما وكان محاطاً بالمعترفين بفنّه وكلهم أصدقاؤه وأغلبهم من تلاميذه، علاوة عن أعضاء مجلس الشيوخ والمحامين والموظّفين، الساميين، فيمكن أن نسّمي حاشية فرنتون "النادي الفرنتوني" وهذا النادي قد ضم نخبة روما إضافة إلى أبناء بلده المغاربة من قرطاج ومن نوميديا.

---

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 354.

[2] كان هؤلاء تلاميذ وأصدقاء فرنتون السيرتي فقد كان يوصي بتوظيفهم ويتابع مسارهم المهني، وبالمقابل كانوا يشكلون حاشيته.

[3] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. ص (355- 356).

تميز فرنتون خلال حياته كلها أفريقيا بوجدانه وعاداته وسلوكه. ويستنتج من أعماله أنه كان أنيقا صاحب كبرياء طيب القلب، ظل أدبه نابعاً من صلب الذاكرة والوجدان المغربي ولو في شكل حرفه المستعار، لأن الحرف اعتبره المفكرين المغاربة في هذه الظرفية المتوترة وسيلة لتمرير الخطاب، كما قال كاتب ياسين هو أيضا غنيمة حرب واعتبروا اللغة وسيلة للتواصل مع الآخر القادم إلى بلادهم والمحتل لهم.

إن الكثير مما كتبه فرنتون وغيره من الأدباء المغاربة كان باسم اللاتينية، والفكر اللاتيني، واللغة اللاتينية، لأن الرومان هجروا المثقفين المغاربة المتميزين إلى روما، وفرضوا عليهم الجنسية الرومانية، والكتابة اللاتينية، مقابل النعيم المادي والرفاهية الأرستقراطية، دون أن ننسى بأن الرومان قد زيفوا عناوين مؤلفات الكتاب المغاربة، ورومنوا أسماءهم ومساهمتهم الفكرية، والهدف من ذلك كله هو القضاء على هويتهم، وطمس جذورهم الإفريقية، ومحو كتابتهم الأصلية.

في الحقيقة إن فرنتون سعى إلى إثبات ذاته ووجوده وهويته، بواسطة الأدب والثقافة والعلم والعلوم نحو منحنى تكريس الوعي بالذات الفردية والجماعية، فالأدب المغربي القديم كان متقدما يضاهي وينافس أدب الشعوب المجاورة، لكنه تعرض لطمس شديد بفعل الهجمات المتتالية التي تعرضت لها بلاد المغرب.

لذلك يتعين على الباحثين الجزائريين وغيرهم من المغاربة أن يسعوا إلى نفض الغبار عن هذا الجانب، والتعريف بالشخصيات الأدبية المغربية في الفترة القديمة لأنهم اعتبروا من المبدعين والمتميزين، عبروا عن هوية مغربية نوميدية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– قائمة المصادر:

1- سالوستيوس غايوس كريسبوس، حرب يوغرطة، (تر)و(تح) محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

2- ديون كسيوس، التاريخ الروماني، تر: مصطفى غطيس، ج10، ط1، ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013.

3- Fronton de Cirta, Œuvres complètes ; Epistolae : Ad, Caesar, Ad Antonin pium, Epistolae graecae Ad Verum Ad amicus, éd. A.Mai puis par Naber, Paris 1823-1867.

ثانيا–قائمة المراجع:

1- الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة ،النشر، التوزيع والترجمة، الجزائر، 2007.

2- المحجوبي عمار، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 146 ق.م- 235م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

3- الصغير غانم محمد، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

4- الصغير غانم محمد، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

5- بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط،2010. 6- قداش محفوض، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993.

7- حمداوي جميل، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

8- عتمان أحمد، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت.

9 – شنيتي محمد البشير ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الحكمة، الجزائر .

10- سليمان محمد ، أسئلة الهوية والمثاقفة في عصر العولمة، ط1، معهد إبراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله- فلسطين، 2008.

11- (J) Carcopino, Passion et Politique chez les Césars, Paris, 1958

12- Marache (R) , Critique littéraire de langue latine et le développement du goût archaisant au II^e me siècle, Paris 1952 .

ثالثا– الرسائل الأكاديمية:

عقون محمد العربي، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، (2004-2005).

رابعا–المؤتمرات:

شعبان علي أحمد ، المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم، أعمال الملتقى الوطني الأول بجامعة معسكر "المدينة والريف في الجزائر القديمة" ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.

خامسا– المواقع الالكترونية:

أسويق محمد، الأدب الشعبي الأمازيغي، متاح على الرابط: WWW.ahewar.org تاريخ الرفع:2013/05/27 على الساعة 11.40د.